هـــوى المرأة

للآنسة نعمت أحمد فؤاد

ليس جمال الرجل هو كل شيء في عين المرأة ، بل هناك صفات أخرى فيه تستهويها وتستبيها ، فالقوة ، قوة الروح ، وقوة الجسم تأسرها وتروعها ، واللفظ المذب المشرق يحلو في سمعها ويسري في دمها غبطة ، فتنتشي منه وتسكر .

ولعل الرجل الفنان هو أحب الرجال إلى المرأة وآثرهم عندها .

إن العلوم من صنع العقل ، وهي حظ مشترك بين الجميع ، ولكن الفنون هبة من الله يمنحها بقدر .

ولكم رأينا من النساء المترفات من تهجر زوجها الطبيب أو العالم ، وتعلق بموسيقار أو رسام أو شاعر .

إن نفس المرأة تفيض رقة لمزج القيثار ، وتلوين الريشة ، وترنيمة الشاعر ... هذه الروائع الخالدة التي أبدعتها السماء ، فجاءت في صفاء جمال البدر ولألاء النجوم ، وباركتها يد الله وكأنها صيغت من القطر حين ينزله من الغمام .

هذا هو التاريخ اسمعه مني يحكي لنا ولع الغانيات ببشار ابن برد الشاعر .

لم يكن بشار وسيما تأخذه العين ، بل كان كما وصفه الأصمعي ضخما عظيم الخلق والوجه مجدوراً طويلا جاحظ المقلتين قد تنشاهما لحم أحمر ، فكان أقبح الناس عمى وأفظعهم منظراً ، وكان إذا أراد أن ينشد ، صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ، ثم ينشد فيأتي بالعجب !

كان بشار بمجلسه الذي كان يسميه « الرقيق » ، وقد مد بساط الراح وحوله ندامى شرابه وعشاق شعره .

كانت ساعة أصيل تودع الشمس فيها الأرض ، وتمنيها الأماني أن ترسل إليها البدر يرفدها بنوره حتى تطالعها هي في صباح الغد الجديد . وراحت الشمس ولم تخلف وراءها في الأفق غير ألوان منها الأحمر والأصفر والأزرق كأنها تستعرض ألوان الزهر الذي تصنعه بحرارتها ، وتعد له في الحياة ...

ودارت الكئوس على الرفاق حمراء من لون الخمر كأن الورد أراق فيها شرابه فتضرجت ، وارتفع الصخب حتى كاد يغطي رنين الأوتار ، إذ راق المجلس غانيات خمس كما يراق الأمل دنيا موعود ، فخشعت الأصوات وكأنها اطمأنت ، وسكنت الضجة حتى وضح عزف المزاهر ، واستوت القادمات مجلسهن حول بشار ، ثم اندفع المغني يردد قول شاعرنا :

أيها الساقيان صبا شرابي ... واسقياني من ريق بيضاء رُود
إن دائي الظبا وإن دوائي ... شربة من رضاب ثغر بَرُود

وأخذ الشادي يترفق باللحن تارة فتستنيم القلوب من النشوة ، ويشتد به أخرى فتعصف بها الرغبة ويُسمع لها وجيب .

هذا وبشار في شغل بضيفاته يميل على هذه ويداعب تلك ، ويهمس في أذن الأخرى ، ويُسر إليها حديثاً لا يسمعه أحد ، ولكنها تضحك فيفتضح المعنى وينكشف السر . وإذ تستجيب له الغانيات ويتهافتن عليه ، تتمنع واحدة منهن وتزور عنه في كبرياء يمازجها دلال آسر ... وترتسم العجب على وجه بشار من أهوائها ، فيقبل على غلامه يسأله عنها فيعلم أنها « عبيدة » .

كانت الفتاة كاملة الصنو للمغني تكاد تشرب النغم وكأنها لا تروى على كثرة العب وطول الرشيف ، حتى إذا انتهى المغني أخذت عبيدة تعيد النغم بعده وتقلده تقليداً تاماً راع الجمع وأثار دهشتهم . وبشار في هذه المرة لا يتلاهى عن الغناء ، بل ينصت ذاهلا بحواسه كلها ، حتى ليخيل إلى من يراه أن بصره ذهب في هذه اللحظة فقط استجابة لرغبته في أن يكون له عوضاً عن البصر سمعان .

وتفرغ عبيدة من الغناء وتومئ إلى صاحباتها أن يتهيأن للخروج فيلبين دعوتها ، وتخلف وراءها بشاراً غريقاً في لجج النشوة ، تائهاً عن نفسه وعن الوجود ، حتى إذا استفاق من غشيته ولم يجد الشادية ، انطوى على نفسه ، شارد اللب ، موزع القلب ، يعبث بعود ريحان في يده يخط به على الأرض تارة ، ويعبث بوريقاته تارة أخرى ، ثم يسبح له خاطر ، فيضغط على وريقات العود ويعتصرها في كفه ، فتحتضر السكينة ولا ذنب لها .

ويتقدم إليه هشام بن الأحنف راويته يسأله بمن يا ترى يهذى فيتمتم :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ويكمل بشار القصيدة ويأمر راويته أن يكتبها ويسلمها لغلامه ليبلغها عبيدة التى هشت له ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها ، فيأكل عنده ويشربن ، وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ، ولا تطمعه فى نفسها .

وظل الحبيبان يتزاوران تارة ، ويتبادلان الرسائل أخرى ، حتى شاع الخبر وترق إلى أهلها ، ففزعوا إلى محتسب الجند بالبصرة وأعلموه نبأ بشار ، فأخذ هذا يضيق عليه الخناق ويراقبه ، فامتنع عن عبيدة ، وأسلم نفسه للجوى والسهاد ... وهل غيرها عزاء للمحبين ... ؟

وإنه لذات يوم مع راويته هشام بن الأحنف يملى عليه شعر هواه ، إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ! عبيدة تقرأك السلام ، وتقول لك : قد اشتد شوقنا إليك ، ولم نرك منذ أيام . فقال : عن غير مقلية والله كان ذاك ... ثم قال لراويته هشام : خذ هذه الرقعة واكتب فيها ما أقول ثم ادفعه للرسول :

عبدَ إنى إليك بالأشواق لتلاق وكيف لى بالتلاق ؟
أنا والله أشتهى سحر عينيـ ـك وأخشى مصارع العشاق
وأهاب الحرمى محتسب الجنـ ـد يلف البرىء بالفساق

أعلمت لما ذا أرسلت إليه عبيدة ؟ لم يكن الشوق وحده هو الذى دفعها ، بل أرادت أن تراه لتفضى إليه بالنبأ الخطير ...

إن أهلها عملوا على أن يزوجوها برجل من عمان لتخرج عن البصرة ليخفت الحديث الذى سار بين الناس وتناقلته مجالسهم .

ويذهب القوم ليحتفلوا بزفاف عبيدة ويشهدوا رحيلها مع زوجها إلى عمان ، ويبقى شخص واحد !

نحن هنا (بالرقيق) أيضاً ، ولكن لا كئوس ولا أوتار ولا ندامى !

إن شاعرنا اليوم كاسف البال ملتاع الفؤاد ، قد اجتمع عليه الوجد والبعد والأسى ثلاثتهم ، وخيم على البيت الصاخب الكآبة والسكون ... سكون عميق لم يشقه إلا صوت بشار يسأل هشاماً ابن الأحنف : وهل رضيت عبيدة بالخروج مع زوجها إلى عمان ؟

نعم رضيت ، ولعلها على مقربة من عمان الآن ! فينكب بشار على نفسه ، ويتمتم فى صوت خفيض :

هوى صاحبى ريح الشمال إذا جرت
وأشفى لقلبى أن تهب جنوب
وما ذاك إلا أنها حين تنتحى تناهى وفيها من عبيدة طيب

نعمت أحمد فؤاد

مجلس مديرية الجيزة

الادارة الهندسية القروية

تقبل العطاءات عن العمليات الآتية فى التواريخ المبينة قرين كل منها وهى :

١ — أصلاح وتجديد دورات مياه المساجد بمديرية الجيزة جزء أول لغاية ظهر يوم ٩ / ٨ / ١٩٤٧ .

٢ — أصلاح وتجديد دورات مياه المساجد بمديرية الجيزة جزء ثانى لغاية ظهر يوم ١٢ / ٨ / ١٩٤٧ .

٣ — أنشاء حمامات ومغاسل عمومية جزء أول لغاية ظهر يوم ٢٠ / ٨ / ١٩٤٧ .

٤ — أنشاء حمامات ومغاسل عمومية جزء ثانى لغاية ظهر يوم ٢٣ / ٨ / ١٩٤٧

٥ — أنشاء مجموعة صحية قروية بناحية المنصورية مركز امبابة لغاية ظهر يوم ٢٨ / ٨ / ٤٧

ويقدم الطلب على ورقة تمغة فئة ثلاثين مليما لكل عملية على حدة للحصول على الشروط والمواصفات من الادارة الهندسية القروية بالجيزة نظير مبلغ جنيه واحد لكل عملية خلاف مائة مليم أجرة البريد لكل عملية . ٧٦٣٩